

الحلقة الثامنة والستون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

صديقي المستمع، إذا طرح عليك أحدهم اليوم السؤال: من هو يسوع المسيح برأيك، فماذا يكون جوابك؟ هل تقول: إنه نبي كباقي الأنبياء؟ أم تقول أنه أعظم نبي أرسله الله؟ أم أنه المخلص الذي أرسله الله إلى عالمنا؟ أم أنه كلمة الله المتجسد؟ هل تعلم صديقي أنه على إجابتك هذه يتوقف الكثير. لأن معرفة الجواب الصحيح عن حقيقة شخصية المسيح هو أمر مهم للغاية. إذ هناك فرق كبير بين القول عن المسيح أنه نبي كباقي الأنبياء، أو أعظم الأنبياء، وبين القول أنه المخلص الوحيد، أو كلمة الله الأزلي.

لاحظنا في اللقاءات السابقة أن اليهود المتدينين كانوا يطرحون التساؤلات العديدة على المخلص المسيح، بهدف إجراجه وإيقاعه بالفخ. لكن المسيح استطاع أن يجيبهم على كل تساؤلاتهم بكل حكمة ودراية، مثبتاً لهم أنه هو المسيح كلمة الله الأزلي العارف بكل شيء. وفي لقاء اليوم سنتأمل بسؤال طرحه هذه المرة المسيح نفسه عليهم، ولم يستطيعوا أن يجيبوه.

نقرأ في الإنجيل بحسب بشارة متى ما يلي: «وَفِيْمَا كَانَ الْفَرِيسِيُّونَ مُجْتَمِعِينَ سَأَلَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً: «مَاذَا تَنْظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟» قَالُوا لَهُ: «ابْنُ دَاوُدَ». قَالَ لَهُمْ: «فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبِّاً؟ قَائِلاً: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَن يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ. فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبِّاً، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟» فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ. وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ بِتَّةً» (بشارة متى ٢٢: ٤١-٤٦). سنتأمل الآن بهذا الحوار الهام فابقوا معنا.

مستمعي الكريم، إنه بالحق سؤال هام طرحه المخلص المسيح على الفريسيين وهم فرقة يهودية متزمتة، تدعي معرفة العهد القديم من الكتاب المقدس. وكان السؤال: «مَاذَا تَنْظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟» لقد أراد المسيح بهذا السؤال أن يوقع هو هذه المرة الفريسيين بالفخ. فهم بحسب معرفتهم بالعهد القديم، لا بد أن يجيبوا أنه سيكون: «ابْنُ دَاوُدَ». وهو ما فعلوه. وهذا جواب صحيح بحسب الظاهر. لأن نبوءات العهد القديم تحدثت أن المسيح سيأتي من نسل الملك داود. لكن المسيح انتقل عندها ليسألهم السؤال

الحقيقي الذي أراد طرحه عليهم وهو:

«فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبًّا؟ حَقًّا إِنَّهَا أَحْجِيَّةٌ صَعْبَةٌ. فَإِذَا كَانَ الْمَسِيحُ هُوَ ابْنُ دَاوُدَ، فَلِمَاذَا دَعَاهُ النَّبِيُّ دَاوُدَ نَفْسَهُ فِي مَزْمُورِهِ الْمِثَّةِ وَالْعَاشِرِ رَبًّا؟ وَذَلِكَ عِنْدَمَا قَالَ: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَن يَمِينِي حَتَّى أَضَعَّ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ». لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ نُبُوءَةٌ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ تَتَّبَأُ بِهَا النَّبِيُّ دَاوُدَ عَنِ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ. فَعِنْدَ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ وَصُعُودِهِ حَيًّا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ اللَّهُ الْآبُ لِلرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ: «اجْلِسْ عَن يَمِينِي حَتَّى أَضَعَّ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ». أَيُّ أَجْلَسَهُ عَنِ يَمِينِهِ فِي مَرْكَزِ الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ، لِكَيْ يَبِيدَ أَعْدَاءَهُ وَيَضَعَهُمْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ.

وهكذا اعترف داود بمزموره أن المسيح هو ربّه أيضاً، أي هو كلمة الله الأزلي المتحد مع الله الآب منذ الأزل. وهنا أتى سؤال المسيح البديهي لأولئك الفريسيين: «فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟». أي إذا كان المسيح هو ربّ داود فكيف يكون في نفس الوقت ابنه؟ أي من نسله؟ حَقًّا إِنَّهُ سَوَالٌ صَعْبٌ وَمَحْرَجٌ لِلغَايَةِ بِالنِّسْبَةِ لِأَوْلَئِكَ الْفَرِيسِيِّينَ الَّذِينَ اعْتَادُوا هُمْ أَيْضًا عَلَى طَرَحِ الْأَسْئَلَةِ عَلَى الْمَسِيحِ، فَإِذَا بِهِمْ يَقَعُونَ بِالْفَخِّ أَمَامَ أَوَّلِ سَوَالٍ يَتَحَدَاهُمْ فِيهِ الْمَسِيحُ. لِهَذَا وَجَدْنَاهُمْ يَلْتَزِمُونَ الصَّمْتَ، إِذْ «لَمْ يَسْتَطِيعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ». لَا بَلْ أَنَّهُ «مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ بَتَّةً».

صديقي المستمع: نعود لطرح السؤال الذي طرحه المسيح على الفريسيين: إذا كان النبي داود قد دعا المسيح بالروح القدس ربًّا فكيف يكون ابنه؟ لكي نستطيع الإجابة عن هذا السؤال علينا أن نتحدث عن حقيقة ماهية شخصية المسيح، وهل هو نبي كباقي الأنبياء كما يدّعي البعض؟

إن ولادة المسيح العجائبية تؤكد على حقيقة كونه يختلف عن باقي البشر والأنبياء. فهو حُبْلٌ بِهِ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي أَحْشَاءِ الْعِذْرَاءِ مَرْيَمَ. وَهَذَا بَدْوَرِهِ يُوَكِّدُ عِدَّةَ حَقَائِقَ: لَعَلَّ أَوْلَاهَا أَنَّهُ وَلِدٌ بِطَبِيعَةِ إِلَهِيَّةٍ، وَثَانِيهَا: أَنَّهُ كَانَ مَوْجُودًا عِنْدَ اللَّهِ الْآبِ وَمَتَّحِدًا مَعَهُ قَبْلَ تَجَسُّدِهِ. وَلِهَذَا نَقُولُ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ الْأَزْلِي الْمَتَجَسِّدِ. وَبِكُونِهِ كَلِمَةُ اللَّهِ الْأَزْلِي، هُوَ أَيْضًا ابْنُ اللَّهِ الْوَحِيدِ بِالْمَعْنَى الرُّوحِي الْمَجَازِي وَلَيْسَ بِالْمَعْنَى الْجَسَدِي الَّذِي قَدْ يَتَبَادَرُ إِلَى الذَّهْنِ. وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ قَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ دَاوُدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ رَبُّهُ. وَهَذَا مَا أَرَادَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكْشِفَهُ وَيُؤَكِّدَهُ لِأَوْلَئِكَ الْفَرِيسِيِّينَ: أَنَّهُ هُوَ رَبٌّ أَيْضًا، لِأَنَّهُ كَانَ مَتَّحِدًا مَعَ اللَّهِ الْآبِ مِنْذُ الْأَزْلِ وَقَدْ وَلِدَ مِنْ رُوحِهِ.

لكن المسيح في نفس الوقت لم ينف أنه قد أتى في الجسد من نسل الملك داود كما تنبأ الأنبياء. بل أراد أن يؤكد على طبيعته الإلهية، فهو رب داود وهو أيضاً ابنه من الناحية البشرية في آن واحد. وهذا ما عجز عن فهمه اليهود في أيامه بشكل عام والفريسيون بشكل خاص. وفي نفس الوقت لقد أكد المسيح على نبوءة هامة، وهي نبوءة قيامته من بين الأموات وصعوده حياً إلى السماء. وأن الله الآب سيُجلسه عن يمينه في مركز القوة والسلطان، لكي تتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، وليضع أعدائه موطناً لقدميه. وبهذا أكد المسيح للفريسيين أنه هو المسيح المنتظر.

صديقي المستمع، أمام هذه الحقائق الواضحة هل تأكدت أنت أيضاً من حقيقة شخصية الرب يسوع المسيح؟ وهل تيقنت أنه هو الرب كلمة الله الأزلي الذي تنازل من السماء لهدف إنقاذك؟ وذلك بموته الكفاري وقيامته المجيدة؟ لم لا تؤمن الآن بهذا المخلص الفريد؟ وتعترف به رباً على حياتك؟ وعندها لا بدّ أن تتال الغفران الكامل والحياة الأبدية.